الصدق والضبط، ولم يأخذوا بالشاهد إذا لم يعرف قائله.

أما الكوفة فكانت أقرب إلى الاختلاط بالأعاجم ولغة أعرابها لم تكن كسلامة لغة أعراب البصرة؛ لأن أكثر سكانها من اليمن، واليمن لا يحتج بلغتها لتغيّرها نتيجة اختلاطها بالأحباش، والفرس، كما كان يفصل بين الكوفة وجزيرة العرب بادية السماوة الشاسعة، ولذلك لم يقم علماء الكوفة برحلات كعلماء البصرة[1]، وإذا كان الكسائي الذي ارتحل فإنه كان بناء على نصيحة استاذه الخليل.

وقد أرادت الكوفة محاكاة البصرة في مربدها، فأقاموا سوق كناسة، لكن تأثيرها كان محدوداً لأن الأعراب الذين كانوا يؤمونها غير سليمي السلائق، مما جعل الكوفيين يتوجهون نحو رواية الشعر وكان ذلك ميسوراً لهم[2].

وفي توجههم هذا لم يهتموا بصدق الراوي وضبطه، فكثر الموضوع المصنوع في معظم رواياتهم، قال أبو الطيب اللغوي: «الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين دواوينهم»[3].

وأورد ابن خلكان أن راوية الكوفة خلف الأحمر قال: «أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا عليّ به، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح، ثم مرضت فقلت لهم: «ويلكم، أنا تائب إلى الله تعالى، هذا الشعر لي فلم يقبلوا مني وبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب»[4].

كما أن الراوية حماداً، ذاعت شهرته في كذبه ووضعه، وأنه سلط على الشعر ما أفسده فلا يصلح أبداً[5]، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل من الأقدمين ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك.

---

(١) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ص ٧٤.
(٢) ابن جني: الخصائص جـ ١ ص ٣٨٧. وسعيد الأفغاني: من تاريخ النحو ص ٦٦.
(٣) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ٧٤.
(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ت. احسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠، ١/٣٩٣.
(٥) كلمة المفضل الضبي ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ١٠/٢٦٥.